٧٩

هي الشمس والبدر

[الطويل]

أَنِـيـري مَـكـانَ الـبَـدْرِ إِنْ أَفَـلَ الْـبَـدْرُ
وَقومِي مَقَامَ الشَّمْسِ ما اسْتَأْخَرَ الفَجْرُ[١]

فَفِيكِ مِنَ الشَّمْسِ المُنِيرَةِ ضَوْؤُهَا
وَلَيْسَ لَها مِنْكِ التَّبَسُّمُ والثَّغرُ[٢]

بلى لَكِ نُورُ الشَّمْسِ والبَدْرُ كُلُّهُ
ولا حَمَلَتْ عَيْنَيْكِ شَمْسٌ ولا بَدْرُ[٣]

لَكِ الشَّرْقَةُ اللأْلاءُ والبَدْرُ طَالِعٌ
وليس لها مِنْكِ التَّرائِبُ والنَّحْرُ[٤]

ومن أَيْنَ لِلشَّمْسِ المُنِيرَةِ بالضُّحَى
بِمَكْحُولَةِ الْعَيْنَيْنِ في طَرْفِها فَتْرُ[٥]؟

وأَنَّى لَها من دَلِّ لَيْلَى إِذا انْثَنَتْ
بِعَيْنَيْ مَهاةِ الرَّمْلِ قد مَسَّها الذُّعْرُ[٦]؟

---

(١) و (٢) أفل: غاب. يطلب الشاعر من حبيبته أن تحلّ مكان القوى الطبيعية التي سخّرها المولى عزّ وجلّ لخير البشر، فلو اختفى القمر يطلب أن تنير السماء بضيائها، وأن تشرق على الكون في حال تأخّرت الشمس ولم تشرق. والمفارقة العجيبة أنّها تشترك مع الشمس في الضياء وتختلف معها في التبسّم وجمال الثغر.

(٣) و (٤) والمفارقة أن ليلى أخذت من الشمس نورها، ولم تبقِ للقمر نوراً على الإطلاق، وهما عجزا أن يأخذا منك جمال عينيكِ، بل إنّكِ أخذتِ منهما الضياء والإشراق، وحتى في حال طلوع البدر، فإنهما لا يتمتّعان بما لديك من صدر أنثويّ جميل بديع مغرٍ، ونحر كأنّه إبريق من الزمرد والعاج البديع.

(٥) و (٦) وحتى الشمس في الفجر الأول تعجز عن أن تمتلك عينين كحلتهما القدرة الإلٰهية كعينيك الناعستين الفاترتين الجميلتين. وليلى ذات دلال رقيق وغنج ناعم =

تَـبَـسَّـمُ لَـيْـلَـى عـن ثَـنَـايـا كـأَنَّـهـا
أَقـاحٍ بِـجَـرْعـاءِ الـمَـراضَـيْـنِ أَوْ دُرُّ(١)؟
مُـنَـعَّـمَـةٌ لـو بـاشَـرَ الـذَّرُّ جِـلْـدَهَـا
لأَثَّـرَ مِـنْـهـا فـي مَـدارِجِـهـا الـذَّرُّ(٢)
إِذا أَقْـبَـلَـتْ تَـمْـشِـي تُـقَـارِبُ خَـطْـوَهَـا
إِلـى الأَقْـرَبِ الأَدْنَـى تَـقَـسَّـمَـهَـا الْـبُـهْـرُ(٣)
مَـرِيـضَـةُ أَثْـنـاءَ الـتَّـعَـطُّـفِ إِنَّـهـا
تَـخَـافُ عـلـى الأَرْدَافِ يَـثْـلِـمُـهَـا الـخَـصْـرُ(٤)
فـمَـا أُمُّ خِـشْـفٍ بـالْـعَـقِـيـقَـيْـنِ تَـرْعَـوِي
إِلـى رَشَـإٍ طِـفْـلٍ مَـفَـاصِـلُـهُ خُـدْرُ(٥)
بِـمُـخْـضَـلَّـةٍ جـادَ الـرَّبِـيـعُ زُهَـاءَهَـا
رَهَـائِـمَ وَسْـمِـيٍّ سَـحـائِـبُـهُ غُـزْرُ(٦)

= إذا تمايلت، فعيناها عينا مهاة الرمل وقد ذعرها الخوف، فبدت رائعة. أين لكِ أيتها الشمس من هذا الدلّ؟

(١) جرعاء: رملة جرداء مستوية لا تنبت شيئاً، المراضين: اسم مكان. بسمة ليلى لها مذاق خاص ورائحة ساحرة كسحر زهر الأقاح بجرعاء حيث لا نبت. أو كأنّها درّ يُضيء فيملأ الكون بضيائه.

(٢) الذر: النمل الصغير. إنّها مترفة منعّمة رقيقة الجلد، فلو أن الذرّ باشر جلدها لآذاه وترك أثراً مؤلماً لشدّة نعومته.

(٣) و (٤) البهر: انقطاع النفس. إنّها إذا سارت بالكاد تدرك رجلاها الأرض لخفتها ولطافة مشيها، فلو حاول المرء سماع خطوها ووقعها لعجز، وانقطع نفسه لمتابعتها، وهي من شدّة حرصها تنعطف في مشيها كمريضة تخاف على أردافها من أن يؤذيها خصرها لشدّة حذرها في متابعة خطواتها.

(٥) الخشف: الرشأ: الغزال المولود حديثاً. العقيقين: موضع فيه مياه. الأمومة حنان وعطف، والشاعر يذكر غزالة ترعى صغيرها بالعقيقين الذي ما زال ضعيفاً لم يقو على حماية نفسه ومفاصله ضعيفة بالكاد تسمح له بالوقوف.

(٦) المخضلّة: التي بلّلها الندى. زُهاءها: نضارتها. رهائم: الطلّ الخفيف. الوسمي: =

وَقَفْنَا عَلَى أَطْلَالِ لَيْلَى عَشِيَّةً
بِأَجْزَعِ حَزْوَى وَهْيَ طَامِسَةٌ دُثُرُ(١)
يُجَادُ بِهَا مُزْنَانِ: أَسْحَمُ بَاكِرٌ
وَآخَرُ مِعْهَادُ الرَّوَاحِ لَهُ زَجْرُ(٢)
وأَوْفَى عَلَى رَوْضِ الْخُزَامَى نَسِيمُهَا
وَأَنْوارُهَا وَاخْضَوْضَلَ الْوَرَقُ النَّضْرُ(٣)
رَوَاحاً وقَدْ حَنَّتْ أَوَائِلَ لَيْلِهَا
رَوَائِحُ لِلإِظْلَامِ أَلْوانُها كُدْرُ(٤)
تُقَلِّبُ عَيْنَيْ خَازِلٍ بَيْنَ مُرْعَوٍ
وَآثَارِ آياتٍ وقَدْ رَاحَتِ الْعُفْرُ(٥)

= المطرة الأولى في فصل الربيع. يُكمل الشاعر الصورة لمسرح الغزالة وخشفها في أرض معشوشبة نضرة غزلتها سُحُب الربيع ودبّجتها بمطرها الخفيف.

(١) أجزع: ما يزال موجوداً. حزوى: مرتفعة. طامسة: مندثرة. الوقوف على الأطلال لدى العربي يُثير أحاسيس اللوعة، فأهل المكان تحمّلوا وارتحلوا تاركين وراءهم ذكريات وأحلاماً. وقف الشاعر على تلك الأطلال يستعيد الذكريات عشية في ذلك المكان المرتفع وقد بدت معالمه باهتة مطموسة تفتقد إلى الحياة.

(٢) مُزنان: نوعان من المطر. الأسحم: السحاب الأسود. المِعْهاد: الوسمي. أمدّ المكان نوعان من الأمطار: السحاب الأسود في الصباح الباكر والوسميّ الخفيف اللطيف المتقطّع.

(٣) و (٤) وبريشة الفنّان المبدع يرسم الشاعر المشهد بصورة متحرّكة؛ هواء عليل حمل معه رائحة زهر الخُزامى الأخضر المخضلّ بالندى فبدت أوراقه جميلة تأخذ بمجامع العين والقلب، وانتشرت روائحها فشاركت حاسة الشمّ لدينا، وقد بدأت طلائع المساء، فبدت أكمام الزهر كدرة.

(٥) الخازل: المنقصف الظهر. المُرعوي: المنزجر. العُفْر: ضرب من الغزلان، المكان قفر، أينما التفت المرء وجد آثاراً محزنة، حتى الظباء قد خلّفت المكان قفراً لا حياة فيه.

بِـأَحْـسَـنَ مِـنْ لَـيْـلَـى مُـعَـيـدَةَ نَـظْـرَةٍ
إِلَـيَّ الْـتِـفـاتـاً حِـيـنَ وَلَّـتْ بِـهَـا الـسَّـفْـرُ[١]
مُـحـاذِيَـةً عَـيْـنِـي بِـدَمْـعٍ كَـأَنَّـمَـا
تَـحَـلَّـبُ مِـنْ أَشْـفَـارِهَـا دُرَرٌ غُـزْرُ[٢]
فَـلَـمْ أَرَ إِلَّا مُـقْـلَـةً لَـمْ أَكَـدْ بِـهَـا
أَشِـيـمُ رُسُـومَ الـدَّارِ مَـا فَـعَـلَ الـذِّكْـرُ[٣]
رَفَـعْـنَ بِـهَـا خُـوصَ الْـعُـيـونِ وُجـوهُـهَـا
مُـلَـفَّـعَـةٌ تُـرْبـاً وَأَعْـيُـنُـهـا خُـزْرُ[٤]
وَمَـا زِلْـتُ مَـحْـمُـودَ الـتَّـصَـبُّـرِ فـي الَّـذِي
يَـنُـوبُ وَلَـكِـنْ فـي الـهَـوَى لَـيْـسَ لـي صَـبْـرُ[٥]

٨٠
يا سلوة الأيام

[الطويل]

أَيَـا هَـجْـرَ لَـيْـلَـى قَـدْ بَـلَـغْـتَ بِـيَ الـمَـدَى
وَزِدْتَ عـلـى مـا لَـمْ يَـكُـنْ بَـلَـغَ الـهَـجْـرُ[٦]

---

(١) يُتمّ الشاعر المشهد، الظبية الأمّ متألّمة، ذكّرت الشاعر بحال ليلى يوم ظعنها مع الركب، وهي تتلفّت مودّعة حزينة باكية.

(٢) تحلّب: انهمرت دموعي. أشفارها، مفردها شفر: أصل منبت شعر الجفون. غُزر: كثيرة. وتحين متّي التفاتة، فإذا بدموعها تنهلّ كأنّها الدرّ انفرط عقده بغزارة.

(٣) أشيم: أنظر مستطلعاً. تقلصت الصورة لدى الشاعر، فاختفى كلّ شيء في نظره سوى مقلة الحبيبة تمثلت فيها رسوم الديار في ذاكرته.

(٤) خُوص العيون: غائرات العينين. مُلفّعة تُرْباً: محاطة برفيقات بمثل عمرها. خُزْر العينين: ضيّقات العينين. ليلى محاطة بأتراب لها ذوات عيون غائرة ينظرن شذراً بأطراف عيونهنّ.

(٥) ينوب: ينزل بالمرء من مصائب، يمتدح الشاعر نفسه بقوّة نفسه أمام الكوارث المفاجئة، ولكنّه أمام الحبّ يعدم الصبر وتعجزه المقاومة، فيبدو ضعيفاً.

(٦) يخاطب الشاعر هجر ليلى، وينعى عليه ما آلت إليه حاله، فقد تخطّى كلّ الحدود حتى فاق كلّ هجر.